ملامح الإنصاف و مظاهر الإجحاف في الدراسات الاستشراقية حول التاريخ والحضارة العربية الإسلامية

Features of fairness and manifestations of prejudice in oriental studies on Arab-Islamic history and civilization

محمد عيساوي *

جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر med563747@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/29 تاريخ القبول: 2021/04/20 تاريخ: النشر: 2021/06/06

الملخص:

يعالج الموضوع الحركة الاستشراقية وخصوصياتها المتعلقة بالدراسات التاريخية والحضارية الإسلامية؛حيث يبين جوانب الإنصاف،ويظهر مكامن الإجحاف في دراسات المستشرقين،ويهدف هذا البحث أساسا إلى بلورة موقف موضوعي إزاء المنتج العلمي الاستشراقي بلا إفراط ولا تفريط بغية تثمين مواقف المستشرقين المنصفين و توظيف شهاداتهم الموضوعية إزاء الحضارة العربية الإسلامية في حوار الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد خلص البحث إلى جملة استنتاجات جوهرية أبرزها أهمية الدراسات الاستشراقية في حقل الدراسات التاريخية الإسلامية ، وكذلك ضرورة إخضاع كثير من الدراسات الاستشراقية المتحاملة لمحك النقد والتمحيص،كما رشح من خلال البحث دور المرأة المستشرقة الغربية في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛الحضارة العربية الإسلامية ؛النقد؛الموضوعية ؛التحامل.

* **المؤلف المرسل**

Abstract:

The topic deals with objective testimonials in Orientalist studies, and aims to achieve a constructive and critical criticism of Orientalist views. The unjust people in the right of Arab civilization, and the most important results that we reached are the importance of the researcher's commitment to objectivity and moderation in evaluating Orientalist production, and the importance of investing Orientalist certificates of equity in the dialogue of civilizations. Finally ,The topic also shows the importance of objective Orientalist studies in clarifying the true picture of Arab-Islamic civilization

Keyword: Orientalist; Arab civilization; objective; Orientalist certificates; criticism of Orientalist.

مقدمة:

شهدت الحركة الاستشراقية عبر المسار التاريخي الطويل الذي مرت به بروز العديد من المدارس الاستشراقية،وتفاوتت هذه المدارس فيما بينها من حيث الإنتاج العلمي،والاتجاه نحو التاريخ والحضارة العربية الإسلامية،ويشكل هذا الملمح الأخير أهمية كبرى في الدراسات العلمية،فعلى أساسه تنبني الاستفادة والإفادة،وبناء هذا المعطى الأولي يقف الباحث أمام إشكالية رئيسة تتجلى فيما يلي:ما هي أبرز تجليات شهادات الإنصاف ومظاهر الإجحاف في الدراسات التاريخية الاستشراقية المتعلقة بتاريخ ومقومات الحضارة العربية الإسلامية؟وبخصوص الأهداف التي يروم الباحث تحقيقها من هذه الدراسة،فتتمثل أساسا في تكريس منهج الوسطية في البحث التاريخي؛بحيث يتم وفق هذا الملمح بلورة موقف موضوعي من الإنتاج الاستشراقي بلا إفراط ولا تفريط،وكذا بيان دور المرأة المستشرقة الغربية في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى تنمية ملكة النقد التاريخي البناء المثمر للآراء التاريخية الاستشراقية، ولا ننسى تثمين شهادات المستشرقين المنصفين واستثمارها في حوار الحضارات على أساس الحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن،كما نبتغي من وراء ذلك أيضا إقامة جسور التواصل الثقافي مع الآخر الغربي

الموضوعي.أما فيما يتعلق بالمنهج المتبع ،فيرتكز البحث في مختلف مفاصله ومباحثه على منهج البحث التاريخي بمختلف آلياته الوصفية،التحليلية،النقدية .

1. ماهية الاستشراق :

يجدر بالباحث بيان ماهية الاستشراق لغة واصطلاحا،حتى يتسنى له فهم واستيعاب مناحي الدراسة المختلفة.

1.1 من الناحية اللغوية:

جاءت لفظة الاستشراق لغة من الفعل"شرق" فالشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح،ومن ذلك"شرقت الشمس"إذا طلعت،و"أشرقت" إذا أضاءت،والشروق طلوعها[1].أما الشرق بسكون الراء ؛فهو المكان الذي تشرق فيه الشمس،ونقول "قد شرَّقُوا":إذا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق.[2]

2.1 من الناحية الاصطلاحية :

تطلق كلمة مستشرق بالمعنى العام على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله:أقصاه ووسطه وأدناه،في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه،أما المعنى الخاص يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام[3]،وكان هدف الغربيين مِن الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين مسلمين أو غير مسلمين،أن يكون غطاء للهدف الأساسي،الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين،لخدمة أغراض"التبشير"من جهة،وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى،ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية،وتفتيت وحدتها.أما فيما يتعلق بالمستشرقين فهم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرق،ويُقَدِّمون نصائحهم ودراساتهم ووصاياهم:للمبشرين بغية تحقيق أهداف"التبشير"،وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار،وهناك طرف آخر اعتنى بالدراسات الاستشراقية رغبة في البحث العلمي المتجرّد،دون

أن يكون مدفوعا بدافع تبشيري أو استعماري.[4] ويرى الباحث علي بن إبراهيم النملة بأن:"الاستشراق ظاهرة محددة بدراسة علوم المسلمين مِن غير المسلمين،بغضِّ النظر عن الوجهة التي ينطلق منها.[5]

2. نشأة الاستشراق :

لا يُعرف بالضبط مَن هو أول غربي اعتنى بالدراسات الشرقية،ولا في أيِّ وقت كان ذلك،ولكن المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس إبان ازدهار حضارتها،وتثقَّفُوا في مدارسها،وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم،وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف المعارف والعلوم،وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي جربرت أورلياك(Gerbert of Aurillac)الذي انتُخب بابا لكنيسة روما(Pope Sylvester II)عام 999م،بعد تعلمه في معاهد الأندلس،وعودته إلى بلاده،وبطرس المحترم(Peter the Venerable)،وجيرار دي كريمون(Gerard of Cremona)[6]،وهناك مِن الباحثين مَن يرى أن بداية الاستشراق الأوربي كانت في القرن الثالث عشر الميلادي؛حيث صدر قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312 م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية[7]،بينما يرى الباحث محمَّد البهي أن الاستشراق انتشر في أوربا بصفة جِدِّية بعد فترة حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر[8]،ويذهب رودي بارت أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا تعود إلى القرن 12م الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية،وبالضبط في عام 528هـ/ 1143م قام بها الرهبان وعلى رأسهم الانجليزي الأصل روبرت أوف تشتر (Robert of Chester)،وهناك رواية حول هذه الترجمة تقول:إن بعض الرهبان من إيطاليا وألمانيا أحرقوها خائفين من تأثير القرآن في عقول الناشئة و"ضعاف الإيمان"مِن الرهبان.[9]كما ظهر أيضا في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي.[10]بينما هناك تَوجُّه يرى بأن حملة نابليون على مصر سنة 1798م تعتبر بداية للاستشراق،باعتبار أن"مصر أولا ثم البلدان الإسلامية الأخرى اعتُبرت المجال الحي،والمختبَر ،والمسرح للمعرفة الفعّالة بالشرق."[11]

3. دوافع الحركة الاستشراقية :

كان للحركة الاستشراقية دوافع شتَّى،وأهداف عديدة،وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية،ويمكن التوضيح بأن مِن الباحثين مَن يُفرِط في الثناء على المستشرقين عند الحديث عن دوافعهم،ويرى بأن الدافع العلمي النزيه كان وراء نشأة الاستشراق،بينما يبالغ البعض في التحامل على المستشرقين؛مُجَرِّدا إيَّاهم مِن كل قصد نبيل. وفي الحق أن كُلاًّ من الثناء المطلق،والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجَّلها هؤلاء المستشرقون فيما أنجزوه من أبحاث ودراسات[12]،ولكن مما يؤسف له بأنه إن كان هناك من قصد نبيل،أو دافع بريء للمستشرقين؛فإنه يبدو ضئيلا جِدًّا،أو تائها في محيط الدوافع الكثيرة المشبوهة،أو الأهداف المريبة،والمقاصد غير النزيهة، كما يتضح هذا من خلال إنتاج المستشرقين وأعمالهم[13] ؛ ويمكن بيان وتفصيل ما تقدم على النحو الآتي:

1.3. الدافع الديني :

برز الدافع الديني لدراسة الإسلام،وهذا بصفة رئيسة ومباشرة[14]،وتعرّف المزيد عنه بقصد عرض"نقائصه"المتوهمة،والإكثار مِن الحديث عن"مساوئه"المزعومة،وهذا بمحاولة ضرب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[15]،رغبة من الكنيسة في تشويه صورته أمام جموع النصارى في الغرب،حتى تنصرف هذه الجموع عن توجيه النقد لرجال الدين.وسِجِلُّ الحركة الاستشراقية مليء بالكثيرين مِن المبشرين ورجال الدين النصارى،الذين لبسوا أردية العلم فوق مسوح الكهان،وراحوا يشتغلون بالاستشراف لخدمة التنصير؛حيث سوَّدُوا ألوف الصحائف في عرض الإسلام والانتقاص منه،والطعن فيه،وتقوم الحركة التنصيرية بمهمة الترويج لتلك الدراسات المسمومة[16]،و لقد أصاب أحد الباحثين عندما قرر بأنه:"منذ البداية كان هناك تجاوب في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي."[17] ومن أبرز الشواهد التاريخية على ذلك أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف الرهبان والقساوسة،بالإضافة إلى شخصيات أخرى ومنها المستشرق الأمريكي صمويل زويمر(Samuel Marinus Zwemer)رأس المنصرين في البلاد العربية والإسلامية،ومهندس خطة عقد المؤتمرات التابعة لأعمال التنصير في منتصف القرن20م [18]،والمستشرق الفرنسي لويس

ماسينيون(Louis Massignon)، والأمريكي ماكدونالد(Duncan Black MacDonald) ، وهناك أمثلة وشواهد تاريخية عديدة في هذا المنحى.[19]

2.3 الدافع الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين؛ وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية،لم ييأس الغربيون مِن العودة إلى احتلال بلاد العرب،ثم بلاد الإسلام،إلى درجة أن الدّاعية مُحَمَّد الغزالي(ت1416هـ/1996م) اعتبر الاستشراق هو تنفيذ"خطة ووصية لويس التاسع"[20]،ويعود جذور هذا الأمر إلى الحملة الصليبية السابعة على دمياط(1249م)،حيث إن خلوة الملك لويس التاسع (Louis IX)أو لويس القديس(Saint Louis) في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين،وقد انتهى به التفكير إلى رسم التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تُمَكِّنُهُ مِن مواجهة الإسلام،وكان من بينها تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه،ولا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوعية الأسلحة المستخدمة في المعركة،فالسلمية تختلف عن الأولى بتجنيد"المبشرين"لمحاربة تعاليم الإسلام.[21] فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وثروات؛ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيُضعفوها،وإلى مواطن الضعف فيغتنموه،ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية في نفوسنا،وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا،وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا مِن تراث،وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية،فنفقد الثقة بأنفسنا،ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية،والمبادئ العقائدية،وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا مِن بعده قائمة.[22] ومن أبلغ النماذج التي تجسد هذا الدافع وتؤكد على وثاقة الاستعمار بالاستشراق يقوم في حالتي توماس إدوارد لورانس(Thomas Edward Lawrence)،والأب شارل دي فوكو(Charles Eugène de Foucauld)؛فالأول ضابط انجليزي،ومعتمد دولته السري،فكان الأداة المسخرة لسياسة بلاده التوسُّعِيَّة الميكيافيلية،أما الآخر فهو راهب كاثوليكي،تلقَّى وهو ما زال لائكيا تكوينا كضابط

متخصص في"المكاتب العربية والشؤون الأهلية"،وتم إرساله إلى بلاد المغرب إلى المغرب الأوسط والجنوبي عام 1883 م،لأداء مهمة الجاسوسية والتبشير المنهجي،وظلَّ مِن حيث الإفادات العلمية لكتابه"استكشاف المغرب"حائزا للقب"قِدِّيس الاستعمار"بلا منازع.[23]

3.3 الدافع التجاري:

يتمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم،وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان،ولقتل الصناعة المحلية للأمة العربية الإسلامية،والتي كان لها مصانع قائمة في بلاد العرب والمسلمين.[24]

4.3 الدافع العلمي :

أقبل نفر قليل من المستشرقين على دراسة حضارات الأمم وأديانها ولغاتها بدافع مِن حُبِّ الإطلاع،وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدسَّ والتحريف،فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين على غرار توماس أرنولد (Sir Thomas Walker Arnold) ،بل إن منهم مَن اهتدى إلى الإسلام،وآمن برسالته مثل المستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه(Nasreddine Dinet)،والألماني مراد ويلفريد هوفمان(Murad Wilfried Hofmann)،ولكن هذه الفئة لا توجد إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يُمكِّنهم مِن الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص مثل المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة(Sigrid Hunke)؛لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى،لا تلقى رواجا،ومن ثمة فهي لا تُدِرُّ عليهم أرباحا مثل المستشرق الألماني يعقوب ريسكه(Johann Jakob Reiske)،ولهذا ندر وجود هذه الفئة من المستشرقين.[25]

4.ملامح إنصاف الحضارة العربية الإسلامية في الدراسات التاريخية الاستشراقية :

أسهم عدد من المستشرقين في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية على اختلاف انتماءاتهم ، ولابد من الإقرار بذلك ، وبكل وضوح وصراحة، فهناك ثلة من المستشرقين كرَّسوا حياتهم وطاقاتهم

على دراسة العلوم الإسلامية،و تبنَّوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير خلفيات إيديولوجية أو اقتصادية أو حتى دينية،بل لمجرد ذوقهم وشغفهم الكبير بالعلم ،وبذلوا فيه جهودا مضنية ،ويكون مِن المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بالثناء عليها،وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر المعارف التي لم تر ضوء النور منذ قرون،إلى النشر والإذاعة،وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين،وعاهة الأرضة ،وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية،لها مكانتها وقيمتها،صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهِمَّتهم وقرت بها عيون العلماء في الشرق.[26] ومن هذا المنطلق وبعد تركة عشرات السنين التي قضتها عدد من أقلام الأمة العربية الإسلامية في كيل التهم وصبّ اللعنات على المستشرقين-وهذا حقٌّ بشكل من الأشكال،إنه ردُّ الفعل المناسب لركام مِن الأباطيل والأضاليل المرسومة بخبث وعناية-،ولكن ماذا لو تم إضافة جهد آخر يسعى لمتابعة والتقاط شهادات التقويم الايجابية بحقِّ هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام؟إن هذه الشهادات إذا أردنا الحق تجيء بمثابة اعتراف حر،مدعَّم بالأدلة،لا يتضمن أي قدر من القسر أو الإكراه،بالقيمة المتألقة الفذة لهذا الدين.ولكن البعض يرى أن اعتماد عدد من الشهادات الايجابية لهذا المستشرق أو ذاك،عن جانب معين من جوانب الإسلام،يعني في نهاية الأمر تزكية له،وربما تبرئة لأعماله التي تتضمن في الأغلب الأعم سيولا من الشهادات السلبية المضادة،تقف نقيضه تماما ليس للمعطيات الإسلامية فحسب،بل لبداهاتها وقناعاتها المعروفة كذلك،ولكن كما هو معروف،فإن لكل قاعدة شواذ،ونحن علينا أن نُحسن توظيف القليل النادر من الشهادات الايجابية الاستشراقية بحق الحضارة العربية الإسلامية.[27]

1.4 الإنصاف في المدرسة الاستشراقية الإيطالية : لورا فيشيا فاغليري(Laura Veccia Vaglieri)

ترتبط إيطاليا بروابط تاريخية وجغرافية وثيقة بالشرق منذ قرون سحيقة ،وتلك الروابط تأرجحت بين مدٍّ وجزر،وبين السعي في تحقيق أهداف سياسية واستعمارية،وعلى الرغم من غلبة هذه الأهداف على الاستشراق الإيطالي،فإنه قد صاحبه في نفس الوقت اهتمام علمي واضح [28]،ولعل أبرز مثال على ذلك هو الدفاع عن الإسلام وقيمه ومثله العليا. ويتجلى إنصاف الحضارة العربية الإسلامية في جهود المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة

الإسلامية في جامعة نابولي بإيطاليا ،وهذا من خلال كتابها القيم"دفاع عن الإسلام"،حيث تتحدث الباحثة الإيطالية المعاصرة لورا في كتابها هذا،والذي صدر عام 1952م،وتوالت طبعاته مرارا،عن جوانب عديدة في بنية الإسلام،وملامحه،وقيمه الكبرى،وبإمكانية باحث مُتَمَرِّس تضع يدها على حشد مِن المميزات المتألقة في هذا الدين،وإذا كانت تتعامل معه من الخارج،فإنها لا تمنع نفسها من الانبهار،كمن يكتشف شيئا عزيزا نادرا،الأمر الذي يمنح تحليلها جاذبية،ويُكْسِبُ أسلوبها في التعبير عذوبة وتأثيرا.ويتلخص هذا الكتاب في سياقات خمسة هي:القدرة على التغيير،مغزى الشعائر الخمس الشريعة والحياة،التلاؤم مع الإنسان،البعد الأخلاقي في سيرة الرسول ﷺ، ولقد بدأت فصلها الأول بالحديث عن نشوء الإسلام وقدرته الفذة على التغيير،إذ تقول:"نشأ الإسلام،مثل ينبوع من الماء الصافي النمير،وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة والفكر الإنساني،وكان ذلك الينبوع غزيرا إلى درجة جعلته يتحول وشيكا إلى جدول،ثم إلى نهر،ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد."[29] تقول المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري عن روعة انتشار الإسلام:"أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين؟أيّة قوة داخلية من قوى الإقناع تنصهر به؟ ومن أيِّ غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداوة استجابة مزلزلة؟" [30] وفي تقويم هذا الكتاب يقول المفكر عماد الدين خليل:"إننا هنا بإزاء كتاب يتعامل بموضوعية صارمة مع الإسلام عبر صفحاته كافّة،وإذا كان بعض المستشرقين يمزج السم بالدسم،لأسباب شتى لا يتسع المجال لسردها،فإننا هنا إزاء باحثة آلت على نفسها أن تتحرر من كل عوامل الشد التي مارست تشويهها المعروف للمعطى الاستشراقي،وأن تقدم صورة متألقة عن الإسلام." [31]

2.4 الإنصاف في المدرسة الاستشراقية الانجليزية :

يمثل ملمح الإنصاف في المدرسة الاستشراقية الانجليزية السير توماس ووكر أرنولد(Thomas Walker Arnold)،وهو عالم متضلع،محقق منصف،مِثالٌ للوداعة والتواضع،ويتقن العربية والفارسية والأردية؛ونظرة واحدة في مصادره ومراجعه التي اعتمد عليها السير توماس ووكر آرنولد كافية لمعرفة القيمة العلمية لكتابه"الدعوة إلى الإسلام"،دِقَّةٌ وتوثيق وعزوٌ واضح لمصادره وجلُّها من

كتب غربية،مع منهج علمي،وتسلسل منطقي جغرافي سليم،فهو حُجّة لنا،وحُجّة على الاستشراق والتبشير والاستعمار.ولقد أثبت السير توماس آرنولد أن نقاء عقيدة الإسلام وبساطتها وعُمقها،وموافقة العقل على مبادئها،دون أسرار ولا رموز ولا عواطف،كان سبب انتشار الإسلام،لا كما يستغل المبشرون فقر البلد،أو مرض أبنائه لنشر عقيدتهم.[32]

3.4 الإنصاف في المدرسة الاستشراقية الألمانية :

تتسم المدرسة الاستشراقية الألمانية بأنها لم تزدهر نتيجة الاستعمار،كما هو بالنسبة لانجلترا وفرنسا،أو يرتبط بأهداف تبشيرية كسواه،كما أنه يمتاز بالموضوعية والعمق،وساهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم بجمع وفهرسة ونشر نفائس ودرر المخطوطات العربية الإسلامية [33]،ومن هذا المنطلق تم انتقاء نماذج لشهادات استشراقية ألمانية منصفة للحضارة العربية الإسلامية. وتعتبر زيغريد هونكة(Sigrid Hunke) من المستشرقات الأوربيات اللائي أمضين عقودا مِن أعمارهن في دراسة الحضارة العربية والإسلامية،وقد تجلّى ذلك من خلال إنتاجها العلمي؛فقد نشرت على مدى حياتها الطويلة الحافلة، أكثر من عشرة كتب تناولت موضوعاتٍ متنوعةً لها صلة وطيدة بالأدب، والفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم الأديان المقارن .. إلخ. وكان من بين أواخر كتبها، كتاب بعنوان مثير كتاب "الله ليس كما يُروِّجون" أماط اللثام عن ألف حكم وحكم مسبق عن العرب والمسلمين، كشفت من خلاله المؤلفة بأسلوب علمي- يعتمد على الحجج والبراهين.[34]،وكذلك كتاب"الإبل على بلاط القيصر"،ويعتبر هذا من الكتب المتميزة الذي اقتصرت فيه على علاقات العرب والألمان،وتعمد هونكة في كتابها إلى إجراء مقارنة تهدف إلى إلقاء الضوء على تلك الصلات الفريدة في نوعها،كما أنها تشير إلى العلاقات الإنسانية المتعددة والتأثيرات الحضارية المختلفة التي تمت نتيجة اللقاءات التي جرت منذ عهد شارلمان بين الألمان والعرب،ولقد تلك اللقاءات تمثل قمة حقيقية للتفاعل الحضاري.[35]

ومن الشهادات الإيجابية التي ذكرتها المستشرقة زيغريد هونكة في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية :"لقد طوّر العرب بتجاربهم وأبحاثهم العلمية ما أخذوه من مادة خام عن الإغريق،وشكلوه تشكيلا جديدا،فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي القائم

على التجربة...إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب؛إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء،والطبيعة،والحساب،والجبر،والمثلثات،وعلم الاجتماع...قدَّم العرب أثمن هدية،وهي طريقة البحث العلمي الصحيح،التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم."[36]ولم تقتصر زيغريد على الجانب المتعلق بالعلوم التجريبية وعلوم الطبيعة والحياة،بل امتد نظرها إلى أثر الفكر العربي في النهضة الأوربية حيث قالت :"إن سيلا عرما من نتاج الفكر العربي،وموادِّ الحقيقة والعلم قد نقَّحته أيدٍ عربية،ونظمته وعرضته بشكل مثالي قد اكتسح أوربا...وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من العلماء إلا وقد مدَّ يديه للكنوز العربية هذه؛ليغرف منها ما شاء الله له أن يغرف،وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب...ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوربا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية،وأخذ عنها إيماءاته،وظهر فيها تأثيرها وضوحا كل الوضوح،ليس فقط في كلماته العربية المترجمة،بل وفي محتواه وأفكاره." [37]

وبالفعل لقد صدقت المستشرقة زيغريد هونكة في هذا الأمر،فلم يكن المسلمون في ميادين الطب والصيدلة مجرد نقلة ومقلدين متبعين لمن سبقهم من الأمم في هذا المجال،بل ترجموا ونقلوا وجرَّبوا وهذَّبوا وابتكروا،وأقاموا معارفهم في هذه الميادين على التجربة والاختبار والملاحظة والتعليل والتفسير وإعادة التجربة،ودراسة مختلف الاحتمالات،وملاحظة النتائج بغية الوصول إلى الأحسن فالأحسن تأثيرا ونفعا وجمالا.ونقّح علماء المسلمين نظريات وآراء مَن سبقهم في الطب والعلاج،وأضافوا إليها كثيرا من اكتشافاتهم،وكانت زياداتهم مبنية على المنهج التجريبي العملي وملاحظة النتائج،ولم يتوقفوا عند التعليلات والتفسيرات الفلسفية التي أبعدت الفكر اليوناني عن اتباع المنهج التجريبي،فجعلته يتتبع أوهاما كثيرة لا أساس لها من الصحة.[38] ولا ننسى إنصاف المستشرق ريسكه(Johann Jakob Reiske)،والذي اشتهر بسعة علمه،وإتقانه للنحو العربي،واطّلاعه على الكتب العربية المطبوعة حتى سنة 1736م،حيث كان كلما أمعن في دراسة الكتب العربية ازداد بالعربية ولوعا، حتى تم تلقيبه"بشهيد الأدب العربي"فاطّلع على المخطوطات العربية في ليدن،ولكنه كان مبغوضا عند اللاهوتيين،لأنه مجَّد الإسلام،ولم يوافقهم على أكاذيبهم وافتراءاتهم حول الرسول ﷺ،وحول الإسلام،وحول تاريخ الإسلام عموما وفي ذلك يقول المستشرق

الألماني يوهان فوك(Johann Wilhelm Fück):"لقد كان مُتَّهَمًا عند اللاهوتيين بأنه حُر التفكير،ولم يُسَايرهم في ادِّعائهم أن مُحمَّدا كان نبيا زائفا وغشَّاشا،وأن ديانته خرافات مُضحكة،وفوق ذلك كان يُعبر عن آرائه هذه بصراحة تامة دون أن يحفل بما عسى أن يترتب عليها مِن نتائج،فجلب هذا عليه الكساد."[39].

ولذلك لم يحصل على منصب جامعي،وعُيِّن مدرسا في إحدى الثانويات،وثارت رجال الدين عندما اقترح لإدارة ثانوية،فنُقِل إلى متحف للنقود،لا يرى أحدا،ولا يراه أحد،لا يتصل بأحد،ولا يتصل به أحد.[40] ويجدر إضافة جهود علمية قيّمة لرواد المدرسة الاستشراقية الألمانية في مجال التحقيق والفهرسة للمخطوطات العربية والإسلامية ؛والتي قام بها جوتهلف برجشتريسر(Gotthelf Bergsträsser)؛وقد اشتهر بتنوع إنتاجه العلمي في شتَّى المعارف الإسلامية،واهتمامه بالمصاحف القديمة،وشهرته في تحقيق المخطوطات،وخاصة أصول نقد النصوص ونشر الكتب؛وهي عبارة عن محاضرات قيّمة ألقاها في جامعة القاهرة عام 1932م[41]،والكتاب على الرغم مِن قدمه لا يستغني عنه باحث في تحقيق التراث،ويعتبر أروع ما كتب بالعربية في هذا الفن،وتجلى فيه دقته وحرصه وعنايته وإخلاصه وصبره على السواء[42]،ولا عجب في ذلك فأستاذه هو أحد أعمدة الاستشراق الألماني فيشر،والذي ساهم هو الآخر في تخصص الدراسات النحوية،وأحبَّها وأُولِع بها،وله جهود كبيرة في تحقيق التراث الإسلامي[43]،ويضاف إلى هذا الجهد عمل علمي على قدر كبير من الأهمية ألا وهو كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان(Brockelmann Carl)،والذي يعتبر المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية، وأماكن وجودها حسب ما أكد عليه الفيلسوف المفكر عبد الرحمان بدوي[44]،أما بخصوص المستشرق فلوجل(Gustav Leberecht Flügel)فقد أسهم في إثراء مكتبة التراث العربي في جانبين مُهمين؛أحدهما يتمثل في فهرسة المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية(القيصرية)النمساوية[45]،أما الجانب الآخر فيتجسد في إنجاز أول فهرس لألفاظ القرآن الكريم،وقد أسدى فلوجل بهذا الفهرس خدمة جليلة لجميع الباحثين،وعامة الناس،بالإضافة إلى تحقيق النص العربي للكتاب المهم :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.[46]

4.4 الإنصاف في المدرسة الاستشراقية الفرنسية:

يُعَدُّ الدكتور غوستاف لوبون(1841م – 1931م) من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين،ومن المستشرقين المنصفين إلى حد بعيد،لم يدافع عن حضارتنا فحسب،بل دافع عن حقوق المسلمين،وانتقد سياسة القهر والهضم التي عصفتهم بها الدول العربية المستعمرة،وقد كتب كتابات شافية في انتقاد قومه الفرنسيين بما يعاملون به مسلمي الجزائر من الظلم،والإرهاق ،ونزع الأراضي،والتشريد في الصحراء،وغير ذلك.وكتاب حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون ،لا شكّ أنه فريد في نوعه،وكاتبه محب للعرب وحضارتهم،إلا أن الأخطاء والهفوات والمطاعن فيه كثيرة،فمع حسن نية لوبون،نلمس أنه لم يرهق نفسه ليحيط بدقائق العقيدة الإسلامية،فجاءت معظم أخطائه وهفواته في هذا المجال،فهو لم يتصور أو يدرك ظاهرة الوحي أو أدركها ولكنه لم يقر بها لمحمد بن عبد الله،ولم يستوعب بعض الأمور المتعلقة بالنبوة والوحي، و من الظلم والجور القول: إن مُحَمَّدا ﷺ كان من المتهوسين،أليس من التحامل القول إن القرآن من تأليف مُحَمَّد وشاهد من شواهد عبقريته،أليس من الافتراء القول:إن الإسلام مقتبس من عناصر يهودية ونصرانية، والنظرة المدققة المتفحصة لكتاب حضارة العرب تؤكد أنه كتاب أنصف فيه مؤلفه الدكتور غوستاف لوبون،حضارتنا العربية الإسلامية إلى حدٍّ بعيد،ونتيجة طبيعية لهذه النظرة الشاملة،يقرر الدارس أن إنصاف المؤلف واضح ملموس،وحسن النية متوفر لا ريب فيه ،وأن الهفوات التي وقع فيها تؤخذ على محمل حسن بعيد – كل البعد –عن الحقد والدس والافتراء ،لانطلاق لوبون من أرضية الإعجاب بحضارة غير منتم إليها،لها الدور الكبير في النهضة المعاصرة ،والتقدم الحضاري العلمي الحالي ،فأراد إنصافها،وتقديم روائعها لبني قومه ،ليبدد أوهامهم الموروثة حولها.[47]

ومن المستشرقين الفرنسيين المنصفين أيضا إميل درمنغهم، حيث يعبر عن إعجابه بشخصية الرسول ﷺ في مقدمة كتابه"الشخصية المحمدية :السيرة والمسيرة"؛ فيقول"إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة،وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة،فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق حياة رجل يؤمن برسالته مجموعة كبيرة من بني الإنسان." [48] وإذا كان كثير من المستشرقين الفرنسيين لم يستسيغوا أن يكون النبي ﷺ قد تحنث في غار حراء حيث شاءت إرادة

الله تعالى وهي تهيئ الرسول ﷺ لحمل أعباء الرسالة الخاتمة أن تكون مرحلة العزلة والتأمل فرصة لإغناء تكوينه العقلي والوجداني والروحي فمنهم من أنكر ذلك على غرار هنري لامنس،ومنهم من فسر تحنثه بغار حراء هروبا من حر مكة والتماسا للجو الملطف البارد،فإن درمنغهم وقف عند موضوع العزلة التي كان يلجأ إليها الرسول ﷺ محللا أهميتها وقيمتها بالنسبة لرجل يستعد من غير شعور لاستقبال الدعوة الجديدة وحمل الأمانة.[49] ويقول درمنغهم في هذا الصدد :"فما كان مُحَمَّد ﷺ أن يستغني عن العزلة شأن أقوياء النفوس،وذوي الجد من الرجال ولم ينفك عن الانقطاع حتى بعد أن أصبح رئيس دولة،وصارت أمور السياسة والحرب تشغل باله،لما في الانقطاع من مصدر القوة والاتزان والحكمة وبعد النظر...." [50] ولقد أورد درمنغهم عدد من الشهادات الإيجابية والمواقف الرائعة في كتابه القيم في ظل فترة تموج بالفكر المتعصب ضد الإسلام(القرن20م)،وهذا أمر كفيل بأن يؤكد لنا أن الاعتراف الحر،والتعبير المنصف في حق نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لم يكن ليندثر ،وهذا إذا رام الموضوعية والتجرد ،وتخلى عن التجني والتحامل والتعصب...كما أنه لا يمكن إنكار بعض الزلات التي لا يمكن أن يتجرد منها من لم يقتنع بنبوة مُحَمَّد ﷺ و كونه خاتم الأنبياء والمرسلين. [51]

5. الإجحاف في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالتاريخ والحضارة العربية الإسلامية :

لم تكن كل الدراسات الاستشراقية منصفة للحضارة العربية الإسلامية،بل ظهر توجه مقابل في الضفة الأخرى أجحف في حق مقومات الحضارة العربية الإسلامية عبر مجموعة من الآراء والتوجهات نبرزها فيما يلي:

1.5 منهج التشكيك في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية :

انساق عدد من المستشرقين المعاصرين مع أسلافهم في إتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه،واعتمدوا في ذلك على عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية كما ان عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه إضافة إلى الشك

في جمعه وترتيبه،وهكذا يدعي كثير من المستشرقين أن النص القرآني الذي جاء به مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم قد نالته بعد إفضائه به إلى الناس تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة في صورته المكتوبة [52]. وتناول مستشرق آخر ألا وهو لويس برنارد مسألة أصالة الحضارة الإسلامية،فيرى أن الحضارة التي ازدهرت في الإمبراطوريات العربية والإسلامية،والمعروفة بالحضارة العربية ليست من صنع العرب "الغزاة القادمين من الصحراء،ولكنها صنعت بعد الفتوحات بتعاون شعوب كثيرة مثل العرب والفرس والمصريين،وغيرهم،كما أن الحضارة لم تكن إسلامية محضة لأن كثيرا من النصارى واليهود والزرادشتيين قد أسهموا فيها،ولم يكن لويس أول من شكَّك في أصالة الحضارة الإسلامية فقد سبقه غيره من المستشرقين مثل المستشرق جولدتسيهر الذي يربط بين الإسلام ونمو حضارته على النحو الآتي:"الإسلام عند اكتمال نموه هو نتيجة تأثيرات مختلفة تكون بعضها باعتباره تصورا وفهما أخلاقيا للعالم،وباعتباره نظاما قانونيا وعقديا،حتى أخذه شكله السني النهائي ." [53]

وهدف إطلاق المستشرقين لهذه الدعوى حول الحضارة العربية الإسلامية –برنارد لويس وجولد تسهير وغيرهما– هو أن يبعثوا و ينشروا في الأمة بأن العالم الإسلامي مدين في القديم للثقافة اليونانية،ومدين في الحديث للثقافات الغربية،كما هو مدين للغرب اليوم في مجال العلوم والصناعات والكشوف الحديثة. [54]

ويمكن أن نعقب على هذه الدعوى بأن الحضارات الإنسانية تخضع لسُنَّة التنامي والتكامل،فما تُنتجه حضارة ما،تنقل منه حضارة معاصرة،وما تُنتجه حضارة سابقة تنقل منه حضارة لاحقة،ولا توجد في الدنيا حضارة لأمة تقتصر على مجرد النقل عن غيرها،بل لا بد أن تضيف ما ينتجه أهلها،ولاسيما العباقرة والأفذاذ من ابتكاراتهم،ولابد أن تحذف ما لا يلائم عقيدتها ومفهومها في الحياة،وأساليب معيشتها في مناخها الطبيعي.فادّعاء أن المسلمين لم يكن منهم إلا النقل عن حضارات اليونان والرومان والفرس والهنود والصينين وغيرهم،ادِّعاء منافٍ لطبيعة التنامي والتكامل بين الحضارات،ومنافٍ لواقع حال الأمة الإسلامية في تاريخها الحضاري. [55]

2.5 الاعتماد على الروايات الضعيفة في التاريخ الإسلامي :

استند كثير من المستشرقين في كثير من دعاواهم على روايات تاريخية وحديثية لا تصح،بغية تعضيد آرائهم،ومن بين تلك الدعاوى العريضة التي تشكل قاسما مشتركا بين عدد من المستشرقين على اختلاف انتماءاتهم للمدارس الاستشراقية،ألا وهي ردُّ معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية؛حيث يرى على سبيل المثال المستشرق كارل بروكلمان أن النبي ﷺ قد استفاد من النصارى في رحلاته،ويشير بذلك إلى رواية بحيرا الراهب،حيث يقول في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية:"وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى،أما في مكة نفسها فلعل اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد."[56]

ولكن جهابذة الحفاظ والمؤرخين المسلمين نقدوا رواية بحيرا الراهب من ناحيتي السند والمتن،وأثبتوا تهافتها،ومِن أبرز الدلائل على نقضها تلك الاستدراكات والتعقيبات النقدية التي أوردها مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي(ت748هـ/1374م)؛حيث قَدَّم عِدَّة تساؤلات جوهرية مِن شأنها إسقاط الاحتجاج بهذه الرواية،حيث ذكر بأن هذه الرواية منكرة جِدًّا، لأنه تضمنت كثيرا من الأمور التاريخية التي لم تثبت،حيث قال:"وأين كان أبو بكر؟كان ابن عشر سنين،فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف؛وأين كان بلال في هذا الوقت؟فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث،ولم يكن وُلِد بعد؛وأيضا،فإذا كان عليه غمامة تُظِلُّه،كيف يُتصوَّر أن يميل فيء الشجرة؟لأن ظِلَّ الغمامة يَعْدِم فَيءَ الشَّجَرَةِ التي نَزل تحتها،ولم نَرَ النبي ــ ﷺ ــ ذَكَّرَ أبا طالب قط بقول الراهب،ولا تَذَاكَرَتْهُ قريش،ولا حَكَتْهُ أولئك الأشياخ،مع تَوَفُّر هِمَمِهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك،فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار،ولَبَقِيَ عنده ــ ﷺ ــ حِسٌّ مِن النُّبُوَّة،ولما أَنْكَر مجيء الوحي إليه،أولا بغار حِرَاء وأتى خديجة خائفا على عقله،ولَمَا ذَهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه ــ ﷺ ــ وأيضا فلو أثَّر هذا الخوف في أبي طالب ورَدَّهُ،كيف كانت تطيب نفسه أن يُمَكِّنه مِن السفر إلى الشام تاجرا لخديجة؟وفي الحديث ألفاظ منكرة.[57] وبالتالي نرى أن هذه الرواية لا تصح سندا ومتنا؛وعقّب المحقق بشار عواد معروف على انتقاد الذهبي لرواية بحيرا الراهب:"ويعتبر هذا نموذج تطبيقي نقدي مشهور؛استند فيه الحافظ المؤرخ الذهبي إلى معايير تاريخية وعقلية،وحَلَّلَ

الخبر تحليلاً علمياً من جميع جوانبه في أحداثه وألفاظه ودلالاته،واستخدم عقله والأدلة التاريخية لِيُثْبِتَ بطلانه.وهي خطوات تُنبئ عن تمكُّن الذهبي العلمي ورسوخ قدمه في ميدان نقد متون الروايات التاريخية.[58]

أما الدعوى الأخرى التي تلقفها شريحة من المستشرقين ومنهم كارل بروكلمان أيضا دعوى أن النبي صلى الله عليه أثنى على الأصنام و هذا في رواية الغرانيق الشهيرة "ومع الأيام أخذ الإيمان يعمر قلبه،ويملك عليه نفسه،فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى،ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى مِن بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله،ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله"تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى" [59] وتعقيبا على هذه الدعوى نقول أيضا،أن علماء الإسلام ومؤرخي السيرة النبوية الشريفة قد بينوا بطلان هذه الرواية التي تزعم أن النبي ﷺ أثنى على آلهة قريش،وعلى رأسهم العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي (ت544هـ)في كتابه القيّم"الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ"؛حيث خصص فصلا كاملا في رد الشبهات والمطاعن حول السيرة النبوية الشريفة وعلى رأسها قصة الغرانيق،وهذا في أوجه كثيرة من جهتي الإسناد والمتن؛ومنها من حيث السند:"ومن حُكيت هذه الحكاية عنه مِن المفسرين والتابعين لم يُسندها أحدٌ منهم،ولا رفعها إلى صاحب؛وأكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية.." أما من جهة المتن فقد قرر "استحالة هذه القصة نظرا وعُرفا؛وذلك لأن الكلام لو كان – كما رُوي لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام،ممتزج المدح بالذم،ومتخاذل التأليف والنَّظم،ولما كان النبي ﷺ ولا مَن بحضرته من المسلمين،وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك؛وهذا لا يخفى عل أدنى متأمل،فكيف بمَن رَجح حِلمه،واتَّسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام عِلمه؟!"[60]

3.5 البعد عن النزاهة وعدم التزام الأمانة العلمية:

يمثل هذه النزعة المستشرق هنري لامنس،وهو مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام،ويفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها،ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين؛حيث تحامل في كتبه على

السيرة النبوية تحاملا شديدا،زاعما أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي ﷺ،وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة مِن أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي ،فلم يُقِم لكتب الحديث وكتب السيرة النبوية الشريفة أيَّ وزن،وهو في هذا لا يسوق أي دليل نقلي أو عقلي،ولا يرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة ،بل هو يُلقي الكلام جزافا ويعتمد على تحكمات ذهنية استقرت حسب معان ذهنية سابقة،ومن أبرز الشواهد التي تبرز عدم التزامه الأمانة العلمية ما فعله خصوصا في كتابه"فاطمة وبنات مُحَّد"حيث كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها،ولكن الفيلسوف الناقد عبد الرحمان بدوي راجع تلك الإحالات مراجعة نقدية دقيقة ،فوجد أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة أصلا في الكتب التي أحال إليها،أو يتعسف في الفهم على وجه يدل على فساد الذهن والطويّة ،ولهذا أوصى عبد الرحمان بدوي القراء بألاّ يعتمدوا على إحالاته،فمعظمها تمويه وكذب وتعسّف في فهم النصوص.[61]

7.الخاتمة :

وفي الختام نورد تلخيصا لمضمون البحث؛حيث عالجنا من خلاله أسس المخطط الاستشراقي في الدراسات التاريخية والحضارية العربية الإسلامية،عبر مقدمة موجزة تضمَّنت إشكالية الدراسة التي تتمحور حول أبرز تجليات شهادات الإنصاف ومظاهر الإجحاف في الدراسات التاريخية الاستشراقية المتعلقة بتاريخ ومقومات الحضارة العربية الإسلامية ،وكذا الأهداف المتوخاة من الدراسة ،ومنهجية البحث.وتمت الإجابة عن الإشكالية الرئيسة وفق خطة تنقسم إلى خمسة مباحث؛فأما المبحث الأول فعنوانه ماهية الاستشراق،والمبحث الثاني يبحث في نشأة الاستشراق وجذوره الأولى، ثم المبحث الثالث المتمثل في دوافع الاستشراق المختلفة الدينية والاستعمارية والتجارية والعلمية،وتم التطرق في المبحث الرابع إلى شهادات التقويم الإيجابية والمنصفة،مع الإشارة إلى أبرز الإسهامات العلمية بانتقاء نماذج من مختلف رواد المدارس الاستشراقية(الإيطالية ،الألمانية ،الفرنسية ،البريطانية)،وأعقبنا ذلك بمبحث خامس يبين التوجه الآخر المضاد،وهذا ببيان الأسس التي انطلق منها جمهرة من المستشرقين المجحفين في حق الحضارة العربية الإسلامية مع بيان الشواهد

التاريخية التي تبرهن على تلك الأسس،وآخر البحث خاتمة تنطوي على ملخص للدراسة وجملة من الاستنتاجات المهمة ،وتقديم عدد من الاقتراحات ذات صلة بموضوع البحث.

أما بخصوص أبرز الاستنتاجات المتوصل إليها فيمكن إيرادها فيما يلي:

-إن كثيرا من المستشرقين منتظمون في السلك الكنسي فتراهم قساوسة، ورهبان، ولم يكتف المستشرق بالانتماء إلى خط التبشير، بل قدم خدمات جليلة لمؤسسة الاستعمار الغربي.

- عند تحري جذور الاستشراق وأصوله نجده يعود إلى الحروب الصليبية وبالضبط الحملة الصليبية السابعة.

- أسهمت المرأة المستشرقة الغربية الموضوعية على غرار زيغريد هونكة الألمانية ولورا فيشيا فاغليري الإيطالية في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية من خلال إبراز أبرز إنجازات المسلمين في العلوم التجريبية والإنسانية،وليس هذا فحسب بل ببيان سماحة الإسلام وقيمه ومثله العليا.

- أثرى عدد من المستشرقين الألمان المكتبة التراثية العربية الإسلامية بجملة من الإصدارات العلمية الرصينة وخاصة في مجال تحقيق وفهرسة ونشر درر ونفائس المخطوطات على غرار فلوجل و برجشتريسر وكارل بروكلمان.

- قام ثلة من المستشرقين الفرنسيين المنصفين ببيان حقيقة كثير من الأمور المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية.

- أهمية تحري الموضوعية والإنصاف في تقويم الاستشراق؛فهناك دراسات استشراقية تألقت من ناحيتي المنهج والمضمون،ويمكن الاستفادة منها في شتى المناحي العلمية ،و في المقابل هناك دراسات لم تلتزم بأصول الموضوعية والتجرد.

- برزت عدة دراسات استشراقية مجافية للحقيقة التاريخية تركزت على أسس ومناهج أهمها المبالغة في الشك،والتشكيك خصوصا في أصالة الحضارة العربية ،والاعتماد على الروايات الشاذة والملفقة والموضوعة،وإسقاط الرؤية الغربية المعاصرة والتأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية.

– رشحت عدة آراء استشراقية تتعلق بالتاريخ الإسلامي –وخصوصا بفترة السيرة النبوية الشريفة – حاولت تكريس رد معطيات السيرة إلى أصول يهودية أو نصرانية على غرار روايتي بحيرا الراهب،وقصة الغرانيق،دون الأخذ في الاعتبار الردود والاستدراكات النقدية التي أثبتت بطلانها

– تأكد لدينا أهمية المصادر التاريخية التي دونها جهابذة المؤرخين والنقاد المسلمين على غرار الشفا بتعريف حقوق المصطفى في إثبات تهافت كثير من الدعاوى الاستشراقية .

أما فيما يتعلق بأهم الاقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث؛والتي يمكن تقديمها فتتمثل أساسا في ضرورة فتح أقسام متخصصة في الدراسات الاستشراقية في الجامعات عبر التخصصات التي تتقاطع واهتمامات المستشرقين،كما نقترح تخصيص أعداد مستقلة من مجلات علمية مُحَكّمة تتناول الدراسات الاستشراقية ،وينبغي أيضا فتح باب الحوار مع الآخر ومد جسور التواصل الثقافي مع المنصفين للحضارة العربية الإسلامية إفادة واستفادة .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا المصادر :

1. اليحصبي أبو الفضل عياض بن موسى(ت544هـ)،الشفا بتعريف حقوق المصطفى،تحقيق عبده علي كوشك، ط03، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، 1439هـ/2018م.
2. الذّهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد (ت748هـ)،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق بشار عواد معروف،الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
3. ابن فارس،أبو الحسين أحمد،معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر،بيروت،لبنان،د.ت .

ثانيا : المراجع

1-أرنولد توماس ووكر،الدعوة إلى الإسلام،ترجمة حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين ،مكتبة النهضة المصرية، مصر ،1947 م.

2-بدوي عبد الرحمان،موسوعة المستشرقين،ط 05،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت، لبنان،2015 م.

3-برجستراسر ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب،إعداد وتقديم محمد حمدي البكري،دار المريخ،الرياض،المملكة العربية السعودية،1402هـ/1982 م.

4- الجندي أنور، السنة النبوية في مواجهة شبُهات الاستشراق،دار الأنصار،القاهرة،مصر،1979 .

5- أبو خليل شوقي،كارل بروكلمان في الميزان،ط01،دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان، 1987 م.

6- الديب عبد العظيم،المستشرقون والتراث،الطبعة 03،دار الوفاء ،المنصورة،مصر، 1413هـ/1992 م.

7- درمنغهم إميل ،الشخصية المحمدية ، ترجمة عادل زعيتر،الشعاع للنشر،المعادي، مصر،2005 م.

8- رضوان عمر بن إبراهيم،آراء المستشرقين حول القرآن الكريم،ط01،دار طيبة،الرياض، السعودية، ،1413هـ/1992.

9-زقزوق محمود حمدي،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف،القاهرة، مصر،1997 م.

10-زناتي أنور محمود،زيارة جديدة للاستشراق،ط01،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، مصر،2006.

11- السباعي مصطفى ،الاستشراق والمستشرقون،ط04،دار السلام، القاهرة، مصر، 2013م.

12-سمايلوفتش أحمد ،فلسفة الاستشراق ،دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ/1998م.

13- أبو شهبة مُحَّد بن مُحَّد:دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكُتَّاب المعاصرين، ط01،مكتبة السُّنَّة، ،القاهرة،مصر،1989 .

14- عزوزي حسن ،آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية،مطبعة آنفو،فاس،المغرب،2007 م .

15- علي مُحَّد إسماعيل ،الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط 05 ، دار الكلمة ،القاهرة ،مصر ، 1434هـ/ 2013 .

16- عميرة عبد الرحمان ،الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق،دار الجيل،بيروت،لبنان.

17- الغزالي مُحَّد:ظلام من الغرب،شركة نهضة مصر،القاهرة،مصر/2005 .

18- فاغليري لورا فيشيا،دفاع عن الإسلام،نقله إلى العربية منير البعلبكي،ط05،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1981 م

19- فوك يوهان،تاريخ حركة الاستشراق،ترجمة عمر لطفي العالم،بيروت،لبنان،دار المدار الإسلامي،الطبعة الثانية،2001 م.

20- مطبقاني مازن بن صلاح ،من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر،مكتبة ابن القيم،المدينة المنورة،المملكة العربية السعودية،1409 هـ/ 2018 م .

21- معروف بشار عواد،الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام،ط01،مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،مصر، ،1976م.

22- الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة،الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها،ط01،دار القلم،دمشق،سوريا، ،1418هـ/1998م.

23- النملة علي بن إبراهيم،إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، ، مكتبة الملك فهد ،الرياض،المملكة العربية السعودية، 1417 هـ / 1996 م .

24- الندوي عبد الله عباس،ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب،رابطة العالم الإسلامي، مكة ، السعودية،1417هـ.

25- هارون عبد السلام محمد:تحقيق النصوص ونشرها،مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر،1418هـ/ 1998 م ، ط07.

26-هونكة زيغريد ،الله ليس كما تروجون،ترجمة خالد غادري،دار الفرقد، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى،2009م.

27-هونكة زيغريد،الإبل على بلاط قيصر،ترجمة حسام الشيمي،مكتبة العبيكان،الرياض، السعودية، 2001م.

28- هونكة زيغريد ،شمس العرب تسطع على الغرب،ترجمة فاروق بيضون،دار صادر،بيروت، لبنان، 2002م.

ثالثا: المقالات

1- خليل عماد الدين،"قراءة في كتاب دفاع عن الإسلام" ، **إسلامية المعرفة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 55، 2009.

الهوامش:

[1] - أبو الحسين أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر،بيروت،لبنان،د.ت،ج03،ص 264.

[2] - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب،ط4،دار صادر،بيروت،لبنان،2005،ج08،ص 65 .

[3] - محمود حمدي زقزوق،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف،القاهرة،مصر،1997، ص 18 .

[4] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،أجنحة المكر الثلاثة،ط 08،دار القلم،دمشق،سوريا،2000م ،ص 120 ،121 .

[5] - علي بن إبراهيم النملة،إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي،ط01،مكتبة الملك فهد ،الرياض، السعودية، 1417 هـ / 1996 م ،ص 15 .

[6] - مصطفى السباعي ،الاستشراق والمستشرقون،ط04،دار السلام،القاهرة، مصر، 1434هـ/ 2013م،ص 15 ، 16 .

[7] - محمود حمدي زقزوق،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف،القاهرة،مصر، ص 18 .

[8] - محمد البهي،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،د.ت، ص 429 .

[9] - عبد الله عباس الندوي،ترجمات معاني القرآن الكريم ،1417هـ،رابطة العالم الإسلامي،مكة ، السعودية،ص 39 .

[10] – محمود حمدي زقزوق،المرجع السابق، ص 18 .
[11] – علي بن إبراهيم النملة،مصادر المعلومات عن الاستشراق،مكتبة الملك فهد،الرياض، السعودية،1993م،ص 08 .
[12] – مصطفى السباعي ، المرجع السابق، ص 15 .
[13] – إسماعيل علي محمد،الاستشراق بين الحقيقة والتضليل،ط 05،دار الكلمة،القاهرة،مصر،2013،ص 31 .
[14] – محمد البهي،المرجع السابق، ص 94 .
[15] – أنور الجندي،السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق،دار الأنصار،القاهرة ،مصر،د.ت،ص 04 ،05 .
[16] – إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص 41 .
[17] – عبد اللطيف طيباوي ، المستشرقون الناطقون بالانجليزية، مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،د.ت، ص 479 .
[18] – أنور الجندي،الإسلام في وجه التغريب .مخططات التبشير والاستشراق،دار الاعتصام ، القاهرة،مصر،د.ت، ص 99 .
[19] – عبد الرحمان عميرة،الإسلام والمسلمون ،دار الجيل،بيروت،لبنان،1999،ص 15 – 17 .
[20] – محمد الغزالي،ظلام من الغرب،ط04،شركة نهضة مصر،القاهرة،مصر،2005م،ص120،119 .
[21]– عبد الرحمان عميرة،المرجع السابق،ص 97،96.
[22] – مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 20،19 .
[23] – بنسالم حميش، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق،ط01،دار الشروق،القاهرة ،مصر،2011،ص 52 .
[24] – مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 21 .
[25] – مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 23،22 .
[26] – أبو الحسن علي الحسني الندوي، مقالات و بحوث حول الاستشراق والمستشرقين،إعداد سيد عبد الماجد الغوري،دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، 2002 م، ص 29.
[27] – خليل عماد الدين،"قراءة في كتاب دفاع عن الإسلام" ،مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 2009،55،ص 157 – 180 .
[28] – أنور محمود زناتي،زيارة جديدة للاستشراق،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،مصر،2006 ،ص 128 .
[29] – لورا فيشيا فاغليري،دفاع عن الإسلام،ترجمة:منير البعلبكي،ط05،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1981 م،ص21.
[30] – لورا فيشيا فاغليري،المرجع السابق ،ص 40 .
[31] – خليل عماد الدين،المرجع السابق،ص 157 – 180 .
[32] – توماس ووكر أرنولد،الدعوة إلى الإسلام،ترجمة حسن إبراهيم،مكتبة النهضة المصرية،مصر،1947 م،ص 10 .
[33] – أنور محمود زناتي،المرجع السابق ،ص 483 .
[34] – زيغريد هونكة،الله ليس كما تروجون،ترجمة خالد غادري،دار الفرقد،دمشق،سوريا،الطبعة الأولى،2009م،ص19.
[35] – زيغريد هونكة، الإبل على بلاط قيصر،ترجمة حسام الشيمي،الطبعة الأولى،مكتبة العبيكان،الرياض،ص 06.
[36] – زيغريد هونكة،شمس العرب تسطع على الغرب،ترجمة فاروق بيضون،دار صادر،بيروت،لبنان،2002،ص401 ،402 .
[37] – زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 305 ،306 .

[38] – عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،الحضارة الإسلامية،دار القلم،دمشق،سوريا،1418هـ/1998م،ص 561.

[39] عبد الرحمان بدوي،موسوعة المستشرقين،ط 05،المؤسسة العربية ، بيروت،لبنان، 2015، ص 300 .

[40] شوقي أبو خليل،كارل بروكلمان في الميزان،دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان ،1408 هـ/ 1987م،ص 06.

[41] – برجستراسر،أصول نقد النصوص ونشر الكتب،إعداد وتقديم مُحَمَّد حمدي البكري،دار المريخ،الرياض،المملكة العربية السعودية،1402هـ/1982 م،ص 12؛أما أول كتاب عربي في هذا المجال فهو كتاب المحقق عبد السلام هارون،والذي أشار إلى الدراسة السابقة لبرجشتريسر وسماه بالمستشرق"**الفاضل**".عبد السلام مُحَمَّد هارون،تحقيق النصوص ونشرها، ط07،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،1418هـ/ 1998 م ،ص 07.

[42] – أحمد سمايلوفتش،فلسفة الاستشراق ،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،1418هـ/1998م،ص 551-557.

[43] – ناصر بن مُحَمَّد بن عثمان المنيع، المستشرق الألماني بيرجشتراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها،مجلة جامعة الملك سعود،الرياض،المملكة العربية السعودية ، المجلد 22، 2010 م / 1431 هـ، ص 127 – 166 .

[44] – عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق ،ص 98 .

[45] – مُحَمَّد عايش،فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية،سقيفة الصفا العلمية،جدة،السعودية ،1429هـ/2008 م،ص09.

[46] – عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق ،ص 412 .

[47] – شوقي أبو خليل،غوستاف لوبون في الميزان ، دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان،1990،ص 49- 61 .

[48] – إميل درمنغهم ،الشخصية المحمدية ، ترجمة عادل زعيتر،2005 م،الشعاع للنشر،المعادي،مصر ، ص 11 .

[49]– حسن عزوزي،آليات المنهج الاستشراقي ،مطبعة آنفو،فاس،المغرب،2007 م،ص 71، 72 .

[50] – إميل درمنغهم،المرجع السابق، ص 71 .

[51]– حسن عزوزي، المرجع السابق ، ص 73 .

[52] – حسن عزوزي ،المرجع السابق،ص 15،16 .

[53] – أجناس جولد تسهير،العقيدة والشريعة في الإسلام،ترجمة مُحَمَّد يوسف وآخرون،القاهرة ،د. ت،ص 10 .

[54] – مازن بن صلاح مطبقاني،الاستشراق،ط02،دار البشير،القاهرة ،مصر ،1439 هـ / 2018 م،ص197 .

[55] – عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص549

[56] – كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البلعلبكي،ط05،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1968م،ص34.

[57]– الذّهبي شمس الدين أبو عبد الله ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق بشار عواد معروف،ط01،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1424هـ/2003م ،ج01،ص 503 ،504.

[58]– بشار عواد معروف،الذهبي ومنهجه،ط01،مطبعة عيسى البابي ،القاهرة،مصر،1976م،ص107 .

[59] – كارل بروكلمان، المرجع السابق،ص 456-457 .

[60]– أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي،الشفا بتعريف حقوق المصطفى،تحقيق عبده علي كوشك،ط03،دار البشائر الإسلامية،بيروت،لبنان،1439هـ/2018م،ص 643 – 652 .

[61] – عبد الرحمان بدوي:المرجع السابق ، ص 503 – 505 .